

يكذ يُحفظ منها ما يزيد على الحوائج البيّية والسوقية على تناقص هذه الحوائج وتراجع عددها يوماً بعد يوم بما طرأ على أهلها من الضغط والفاقة وما اتصل بذلك من استيلاء الجبل وتقلص العمران وذهاب الحضارة من بينهم حتى عادت حوائج كثير من أهل المدن الحافلة لا تكاد تُعدي حوائج البدوي والآكار وما دامت المعاني التي يعبر عنها باللغة معدومة فلا سبيل إلى بقاء الألفاظ الدالة عليها إذ اللفظ إنما يتخذ للعبارة عن الخواطر التي في النفس فلا يكون إلا على قدرها بالضرورة . وزاد على ذلك كله ذهاب ما كتب المتقدمون بعضه بالاحراق كما تم في مكتبة قرطبة وكأنّ هذا في مقابلة ما وقع من مثله بالاسكندرية وفارس ... وبعضه بالاجتياح والنهب فلابقي في مكانه فينتفع به المتأخر ولا احتفظ به الذمّي نهيه لجهله قيمته وبقي الشيء اليسير نجده اليوم في مكاتب الاعاجم وأكثره مما اشترى من أيدينا بالذهب ... فلا غرو أن نشأ عن تلك الأحوال كلها ذهاب هذه اللغة من ألسنة الاعقاب حتى لو رام أحدنا إثارة دقائنها وتمهّدها بالتجديد والحياء لما وجد منها في البلاد إلا الشيء النزر لا يعدو في الغالب علوم الدين وما يتصل بها مما لم يكذ أهل بلادنا يحافظون على سواه

ستأتي البقية

❦ السوربون ❦

سوريا التي لعبت بها يد الغير وفجتها طوارق الحدثان بعد العين بالآثر هي القطر الذي كسّته الطبيعة حلة الجمال فزقتها يد الإنسان وخصّته بمزايا تفرّد بها عن أمثال فعادت عليه بالخرسان وتباب السكان جو صافي الأديم لا يكفهراً إلا ليمود السحاب بالقطر ويتفرق ماء العيون على حصاً كالدر

فتبسم الرياض فيه عن ثور الزهر وهو آية لا يهب إلا عبت اردانه بشذا
 العطر فيمض الحياة هبوبة ويمارز الارواح طيبة وسهول فسيحة الاطراف
 خصية الاكناف تدفق في جوانبها الجداول والانهار وتني في مناكبها الحدائق
 الملتفة الاشجار الطيبة الثمار وجبال احتبكت شعابها وتناوحت هضابها
 ونشزت صخورها واكامها وكملت بالثلج هامها واخضرت سفوحها واخضلت
 آجامها فكانت معقلاً للشريد ومعتصماً للطريد

هذه هي سوريا التي سبقت الى المدينة والحضارة واكتظت بالسكان
 والعمارة وانما بلغت هذا الشأن العظيم بالزراعة والصناعة والتجارة وهي تمتد
 من البحر المتوسط غرباً الى الفرات والبادية شرقاً ومن آسيا الصغرى شمالاً الى
 حدود مصر جنوباً فشتمل على القطر المعروف من قديم الزمان بارض الموعد
 والارض المقدسة وقاعدتها دمشق العريقة في الحضارة المتقدمة العهد في
 المدينة جنة الارض المنقطعة النظير في جمال غوطتها وحسن موقعها وصفاء
 مائها واعتدال هوائها وطيب ثمارها وكثرة حدائقها ومع انها انحطت عن حالة
 مدينتها القديمة فقد اثبت غير متغيرة الا قليلاً في خطتها وترتيب مساكنها
 وعوائد اهلها واخلاقهم ومعايشهم وملابسهم لانهم لا يميلون الى الاحداث .
 وما عداها من مدن سوريا القديمة قد عفاها ثقل الاحوال فلم يبق منها الا
 رسوم واطلال وقامت على انقاضها الآن قرى حقيرة منتشرة في هاتيك
 الربوع الدائرة يأوي اليها شرادم من بقايا الامم الغابرة كأنها لم تبق الا
 لتشهد بما تجنيه الحروب من الدمار وما يحدته قريق الكلمة والشقاق من
 التباب والبوار او تستوفي ما ارصد لها من الذلة وانحطاط المقدار بل لتكون
 عبرة لذوي الابصار

ألا وهي البلاد التي ايس لها مثل في العالم كله في تباين سكانها واختلاف نحلهم وعقائدهم على قلة عددهم فهم لا يزيدون الآن عن ٢٤٠٠٠٠٠ نس متشتين في بقاع تبلغ مساحتها نحو ٣٧٥ ميلاً طولاً من الجنوب الى الشمال في نحو ١٧٥ ميلاً عرضاً من الشرق الى الغرب. وهم اخلاط من الاراميين وكثير من الاجيال التي اجتاحتهم من قديم الزمان حتى الآن وكانوا يؤلفون مملكة عظيمة قاعدتها دمشق التي ذكرت في التوراة باسم ارام وكانت في زمن ابراهيم الخليل عريقة في الحضارة على حين لم يكن غيرها شيئاً مذكوراً. وما ذكر فيها ان الاسرائيليين قتلوا من عسكر ملكها بنهدد الثاني ١٠٠٠٠٠ رجل في يوم واحد وذلك دليل على كثرة سكانها حينئذ على انهم لا يزيدون الآن على ١٥٠٠٠٠. ولا يخفى ان اليهود امتزجوا بالاراميين في حروبهم معهم منذ عهد داود الملك ثم سقطت المملكتان الارامية واليهودية بتغلب الاشوريين والبابليين والفرس شمالاً والمصريين جنوباً فاستبدَّ الاشوريون والفرس بالاراميين وأجلبوهم عن بلادهم وشتوهم في الامصار والمدائن واسترقوهم واغتصبوا املاكهم ففقدت سوريا استقلالها منذ ذلك العهد ثم غلب الاسكندرُ الفرس وثل عرشهم وتلك اليونان سوريا حيناً من الدهر فتخلق اهلها باخلاقهم وكثرت عمارتها في ايام تلك السلوقيين فصارت مملكة عظيمة كانت قاعدتها انطاكية ثم قامت عليها ملوك الطوائف من جهة الشمال والبطالة ملوك مصر من جهة الجنوب واستقلت اليهودية في ايام المكابيين وانقسمت دولة السلوقيين على نفسها فتيهاً للرومان الاستيلاء على هذه المملكة سنة ٦٤ ق م وقد عظم شأنها حينئذ حتى نازعت رومة سلطتها فبوا ملوكها كرسي القياصرة من سنة ١٩٣ الى سنة ٢٤٩ م ب م ونشروا عوائد السوريين ومبادئ دينهم في اوربا وكانت سوريا اول

قطر انتشرت فيه النصرانية بعد ظهورها في اليهودية فازهر فيه نبراسها حتى عصفت ريح الشقاق والمباحكات الدينية بين ابناءها في دولة الروم وتغوى الفرس عليهم وكان عرب الحيرة يشنون الغارة على اطراف المملكة السورية فغنموا في غزوم لضواحي انطاكية غنائم بعثت فيهم النخوة العربية على اعادة الكرة والسوريون لاهون بالمباحكات على العقائد كارهون ظلم حكامهم والروم متشاغلون بملذاتهم واستبدادهم حتى قويت شوكة العرب ثم ظهر الدين الاسلامي فجمع كلمتهم وكانوا أشتاتاً فاندفعوا على سوريا كالسيل الجارف فملكوها وطردها الروم منها الا الذين أسلموا او الذين استأنوا ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون واعتصم بعضهم بالجبال فحافظوا على استقلالهم في الاحكام والعقائد . وكانت دمشق كرسى الخلافة في الدولة الاموية حتى نقلها العباسيون الى بغداد . وبعد اقراض الدولة العباسية ملك الطولونيون سوريا ثم خلفهم الفاطميون ثم السلجوقيون واستولى على بعض انحاءها الصليبيون ثم اجلاهم عنها الايوبيون واجتاحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ ثم افتتحها السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ وكانت تابعة لمصر منذ الدولة الطولونية . وما زالت الحروب تناب ديارها والفتن الاهلية ثور فيها فتمجمل دمارها حتى صارت رسوماً دائرة وبقاعاً باثرة خاوية على عروشها خالية من سكانها وانيسها

وليس القصد مما سبق ايراده بيان تاريخ سوريا فانه مما يطول الكلام فيه ولا تفي بيانه المجلدات الضخمة وانما قصدنا التوطئة لأوجه تباين سكانها في الاخلاق واختلافهم في السحنات والموائد والمنازع والعقائد بما طرأ عليهم من الاختلاط ليتمكن رد كل فرع منهم الى اصله على ما هو مقتضى البحث في الطبائع اذ تتفرع من التاريخ والجغرافية والسياسة وعلم اللغات والتشريع ومنافع الاعضاء القواعد

التي يُرجع اليها في اذئاب الشعوب. وما تميز به الامم من الخصائص الحسية والمعنوية . وقد علمت ان السورين اخلاط من اجيال مختلفة وامم كثيرة تغلبت على سوريا منذ الازمنة القديمة ولذلك لم يبق من السورين الخالص الا بقية يمثليها السريان في دمشق وقراها واليمامة في الموصل وديار بكر والناطقة في الموصل والعجم وبعض جهات الهند والموارنة في جبل لبنان وهم الذين اعتمدوا بالجبال وامتنعوا على الفاتحين او الذين استأمنوا وسكنوا المدن مغلوبين على امرهم اذلاء في اوطانهم وباقي السورين اخلاط من الروم والفرس والعرب والكرد والفرنجة والترك وغيرهم من الامم التي احتلت سوريا فتركت كل امة منها بقية اخص ما تمتاز به بخلتها الدينية

واذا نظرت الى السورين من حيث النحل والملا تبيئت من المذاهب في القطر الذي انتشروا فيه ما لا وجود له في قطر آخر وعرفت من العقائد ما لا يتصور ان العقل البشري ينحط الى التسليم به فترس تحت فرقاً تخرج حقائق التوحيد باضاليل الشرك كالصابئة واليزيدية والنصيرية وترى اليهود والنصارى والمسلمين منقسمين الى طوائف كل منها تدعي العصمة وصحة العقيدة وتنسب الى غيرها الغواية والضلال . فمن طوائف اليهود السامريون وهم في جبل نابلس لا يوجد منهم في غيره ولا يزيدون عن ثلاث مئة نفس . ومن طوائف النصارى الناطقة المعروفون الآن بنصارى مارتوما وهم مشتتون في الموصل وديار بكر وانجم وبعض انحاء الهند وقد نبغ فيهم الحكماء والمترجمون الذين نقلوا حكمة اليونان وعلم الطب الى اللغة العربية في الدولة العباسية ومنهم السريان والكلدان والارمن وكلهم يعاقبة يعتقدون كالتبطين بطبيعة واحدة في المسيح وقد اتحد بعض ابناء هذه الطوائف بالكنيسة الرومانية وسلموا بالقضايا

المختلف عليها مع المحافظة على عوائدهم وتقاليدهم القديمة . ومنهم الموارنة وهم من
السريان تمسكوا من زمن قديم بالمعتقد الروماني وابشوا حتى الآن محافظين على
استقلالهم الديني في جبل لبنان . والروم وهم بقية الامة التي دحرتها العرب عن
سوريا في القرن الاول من الهجرة ومنهم الروم الكاثوليك الذين اتحدوا بالكنيسة
الرومانية . ومن الطوائف النصرانية في سوريا اللاتين والبروتستنت على اختلاف
مذاهبهم وغيرهم . ومن طوائف الاسلام الاسماعيلية والشيعة والمناولة والدروز في
جبل لبنان وغيرهم وكلهم يذودون عن حوض مذاهبهم ويعتصمون بها ويتهاككون
في الخصام بعضهم مع بعض لاجلها وهم اخوان في الوطنية وجيران في المسكن
وشركاء في المصلحة العامة . ومن الغريب ان ترى في البلدة الواحدة فرقاً
تجمعها قواعد الدين الكاية ولا تختلف الا في بعض مسائل فرعية وكل فريق
يدعي العصمة لنفسه ويشاق غيره فينفر منه ويحجب خالطه وربما انقسمت
العشيرة الواحدة او الأسرة الواحدة على نفسها فثارت ثائرة التعصب بين
افرادها واشتد الخصام والنزاع وليس ثمت اسباب تدعو الى ذلك الا ترهات
وسفاسف يعتدون بها ويماحكون عليها عناداً . ولذلك فان هذه البلاد لا يمكن
ان تقوم فيها جامعة وطنية لما يحول دونها من اختلاف المذاهب وتباين الآراء
فلا ترتقي الى رتبة المدنية ولو توفرت لها اسباب الارتقاء

على ان اختلاط السورين بغيرهم من الاجيال والامم منذ الازمنة
القديمة حتى الآن لم يؤثر في سماتهم وبناء اجسادهم تأثيره في تحريق كلمتهم
وفصم عرى رابطتهم لان الذين اختلطوا بهم كانوا في الغالب من اطيب
العناصر محمداً ومن ارقى الشعوب نسباً وسودداً فضلاً عن تأثير اقليمهم النقي
الهواء الخصيب التربة في اعتدال امرجتهم وصفاء الوانهم وحسن تكوينهم وجمال

هياتهم وتناسب ملائمتهم وشوب اذهانهم وغناء قواهم العقلية واستكمال خصائصهم
الادبية فهم من حيث الاستعداد الطبيعي للارتقاء في مقدمة السلائل البشرية
لا يفوتهم الا الاتحاد في الكلمة والثبات في التحصيل . وسنعود الى تمام الكلام
فيهم في الجزء التالي ان شاء الله

— شفاء السرطان الجلدي —

لا يخفى ان السرطان لم يزل حتى الآن معدوداً من العلل الغير القابلة للشفاء
والطرق المعول عليها في علاجه هي العمليات الجراحية على قلة نجاحها مع
بلوغ الجراحة في هذه الايام الاخيرة غاية الاقان . على انا قد وقفنا على مقالة
اطبيين من مدينة براغ اسم احدهما سِرْنِي واسم الآخر ترونيك نُشرت في
مايو الماضي مع صور بعض المصابين بهذه العلة قبل العلاج وبعد الشفاء في
مجلة الطب الاسبوعية الفرنسية التي تطبع في باريس اوضحنا فيها طريقة خصوصية
جرّباها فنجحت في شفاء هذه العلة فأثرنا تلخيصها بما يأتي

اذا نظر الى الطرق المستعملة الآن في علاج السرطان يرى ان
مبدأها واحد وهو استئصال النسيج السرطاني واكثر الجراحين يعتبر ان هذا
العلاج غير كافٍ فالاولى ابداله بواسطة تفعل على الخصوص تَوّاً في النسيج
المرضي ولا سيما لان نزع الورم يشوّء الحلقة لا يستلزمه من قطع الاجزاء
الصحيحة المحيطة بالمولد المرضي فضلاً عن نكسه واذا كانت الآفة كبيرة لا يبقى
الا ترك المريض يعذب وينتظر الموت . ولهذا الاسباب تحرّى الاطباء البحث
عن دواء يهلك به النسيج السرطاني ولا تؤدّي به الى نتيجة صحيحة فأجريت